مدينة كانوب القديمة

لمحة تاريخية لحضرة الخوري لويس ملحه

احد اعضاء الجمعية الاثرية الملكية في الاسكندرية

من أمهات المدن المصرية التي اشتهرت بتاريخها وفخامة مبانيها وعظمة معابدها في الاعصار الخوالي هي مدينة كانوب الكائنة في بقعة ابي قير احدى ضواحي الاسكندرية. واذ قد تسنّى لنا ان نزور منذ ايام خرائب هذه المدينة الواغلة في القدم برفقة اعضاء الجمعية الاثرية الملكية في ثغرنا الاسكندري لنشهد ما اكتُشف هناك من العاديات والآثار مما لا يزال حتى يومنا صابراً على غارات الزمان. رأينا ان نبسط في هذه العجالة لقرّاء المشرق الاغرّ ملخص تاريخ تلك المدينة مما طرأ عليها من الانقلابات والادوار خلال عصرها الوثني اولاً ثم نتخطى الى الكلام عن عصرها المسيحي ثانياً. وبناء عليه نقول: (١

١ً كانوب في عصرها الوثني

اولاً — في عهد البوناده

لا نزاع بان شبه جزيرة ابي قير كان آهلاً بالسكان قبل انشاء مدينة كانوب فيه فلا تقليد ينبئنا بكيان مدينة هناك تدعى «تونيس» (Thonis) على ان تاريخ تسمية مدينة كانوب فلا يتعدى فيما يظهر عهد فراعنة السلالة الوسطى ولقد ثبت اليوم ان كانوب هذه قد لعبت دوراً خطيراً في عصر السلالتين الثامنة عشرة والعشرين

١) لقد كان جلّ اعتمادنا في وضع هذه النبذة على الكتيّب النفيس الذي ألّفه حضرة العلّامة المأسوف عليه الاب فيڤر اليسوعي وعنوانه:

Fayre: Canope, Menouthis. Aboukir, *Alexandrie, 1917*

ثم على المجلد الاول من الكتاب الشائق الذي نُسدره تباعاً الجمعية الاثرية الملكية في الاسكندرية بقلم الاستاذ برتشيا مدير المتحف الاسكندري واسم الكتاب:

Ev. Berccia: Monuments de l'Egypte Gréco-Romaine. *Bergamo, 1926*

واشتهرت يومئذٍ باسم كونوكولوت (Kunokulut) بدليل بروز هذا الاسم على وثائق ومستندات حجرية يتصل تاريخها بالقرن السادس قبل الميلاد

اما اخبارها فلم تتجلِ لنا تماماً الّا في زمن حكم البطالسة. وقد عزا فريق من كتبة اليونان انشاء مدينة كانوب الى رجال العصر الطروادي اذ جاء في اقوالهم ان بحّارًا يونانيًا يدعى كانوبوس كان عائدًا من حرب طروادة مع منيلاس على سفينة . فاندفعت بهما على احد الشواطئ المصرية حيث اضطرًا الى الاقامة هناك شطرًا من الزمن. وفي اثناء ذلك أُصيب كانوبوس المذكور بلسعة صلّ استقطته ماثتاً في الحال فدُفن على عقبها دفنةً مكرمة وجُعل قبره كاوّل اثر لتلك المدينة التي انشئت في ذلك المكان وسُميت باسمه . وكيفما كان الامر فان في اصل منشأ كانوب هذه مزاعم كثيرة متضاربة متباينة لا نرى كبير فائدة من التبسُّط فيها

واوّل من اماط اللثام عن تاريخ كانوب هو هيكاته دي ميلات (Hécatée de Milet) الذي قد ذكر مكاناً يُدعى كانوب وتعقّبه اشيل فقال عن ذلك المكان انه مدينة مجاورة لمصبّ النيل الغربي وان هيرودوت الرحالة الشهير قد ابتدأ بجولته في الديار المصرية من كانوب . وقد كانت شعبة النيل المجاورة لتلك المدينة معروفة بالشعبة الهيراكليوتيكية (Héracléotique) لان مدينة هيراكليوم (Heracleum) كانت اقرب الى النيل من قرب كانوب اليه . ومما لا جدال فيه على ما قررهُ رجال البعثة الفرنساوية بان كانوب كانت ممتدة في القسم الغربي من شبه جزيرة ابي قير

ويروى ان الاسكندر الكبير بعد ان دوّخ سوريا واستحوذ على معاقل صور وغزة دخل مصر عن طريق بيلوزه (Péluse) فلم يلقَ فيها اقلّ مقاومة. ثم سار قاطعاً الصحراء حتى بلغ هليوبوليس ثم ممفيس التي منها ركب الزوارق النيلية في الترعة التي تؤدي الى كانوب فالبحر . وهناك القى بصره على بلدة نوكراتيس وكانوب فلاح له عندئذٍ ان تجارة هاتين المدينتين سوف تصاب بضرر لبعد المسافة بينهما ولذلك ابتنى على الشاطئ مدينة سمّاها الاسكندرية على اسمه وقد اصبحت هذه المدينة فيما بعد كما قال كليستان اعظم مدينة تجارية في المعمورة باسرها . واذ رأى هذا الفاتح ايضاً ان مدينة كانوب هي بمثابة جزء من المقاطعة اللاحقة باسكندرية فضلاً عن اهمية موقعها فلم يشأ والحالة هذه ان يغادر وادي النيل دون ان يترك في مصر

كليومان النوكراتيسي الذي قلده وظيفة جباية الاموال الاميرية فاخذ هذا الطاغية في ابتزاز كواهل سكان البلاد بالضرائب والمغارم

ولم يقف عند هذا الحدّ فقط بل قصد كانوب حيث اعلن بان لديه امراً بنقل متاجر المدينة الى قرب فاروس. فخاف التجار من هذا الامر وحسبوا له الف حساب ومحاذرة ان تصبح متاجرهم هدفاً للضياع جمعوا اذ ذاك مبلغاً من المال وقدموه لكليومان على سبيل اسكاته فاخذه ولم يلبث ان عاد اليهم وسألهم مبلغاً آخر كبيراً ووعدهم بانه يخيّرهم بنقل متاجرهم اما الى نوكراتيس او الى الاسكندرية. اما هم فاعلنوا بانهم لا يستطيعون دفع شيء وانذاك امر بنقلهم جميعاً مع سلعهم الى الاسكندرية ومنذ ذاك الحين اخذت الحركة التجارية في كانوب بالانحطاط تدريجاً غير انها لم تتلاشَ تماماً لان تجارة نوكراتيس استمرت رائجة بعد ذلك مدةً طويلة

اما في ايام البطالسة فقد بلغت كانوب شأواً كبيراً من العمران فان ما كان يقام في معابدها الشامخة من الاعياد والحفلات الباهرة لهو اكبر شاهد على عظمتها وسمو مكانتها في عيون الذين كانوا يؤمّونها أبان تلك الازمنة. وكان اقدم هياكلها [illegible] هيراكلاس يرتقي عهده الى زمن حروب طروادة على قول هيرودوتس (ك ٢ ف ١ عدد ١١٣). وقد اشتهرت بكرور الايام حول هذا المعبد بلدة سُميت هيراكليوم كما ذهب اسطرابون (ك ١٧ ف ١ ع ١٨). وكان موقع هذه البلدة قريباً من مصب النيل الكائن على الشاطئ الشمالي واطلق على هذا المصبّ اسم المصبّ الكانوبي او الهيراكلي

ولقد اقيم ايضاً مدة ازدهار كانوب معابد اخرى فيها غير المعبد الذي سبق ذكره. منها المعبد الفخم الذي شُيّد تكريماً لارسينوي الملكة زوجة بطليموس الثاني الفيلادلفي. وكان على مسافة غير بعيدة من المدينة رأس داخل البحر يدعى زفيريوم (Zephyrium) لتعرضه لهبوب الرياح المدعوة زفير (Zephyrs) والمعروفة عند العرب بريح الدبور وهي كثيرة الانتشار في كل تلك النواحي حتى انه خطر يوماً على بال الاميرال كليكرات (Callicrate) ان ينشئ في ذلك الرأس معبداً صغيراً لانقاذ الملّاحين من مخاطر البحار

ولم يكد بطليموس الثالث المكنى باثرجات يتسنّم منصّة الملك حتى غادر الديار

المصرية على راس حملة ضد الاشوريين . فقلقت الملكة برنيقه زوجته عليه ونذرت بانه اذا عاد من زحفته ظافراً تنزع ضفيرة من شعر راسها وتقدمها لمعبد افروديت . ولم يمرّ على بطليموس هذا اكثر من سنة حتى عاد من زحفته سالماً غانماً وعليه قامت الملكة بايفاء نذرها . غير ان ضفيرة الشعر التي كانت قد اودعتها في المعبد توارت في اليوم التالي لايداعها عن الابصار . واذ ذاك اذاع كونون (Conon) الفلكي بانهُ رأى هذه الضفيرة قد تحولت الى مجموعة من الكواكب في القبة الزرقاء .

وكان في كانوب ايضاً معبد اخر اشتهر بالفخامة والعظمة ألا وهو معبد اوزيريس الذي عُرف من الكتابة التي وجدت محفورةً في صحيفة من ذهب تصان اليوم في متحف لندرة . واليك منطوقها : ان الملك بطليموس ابن الالاهين الاخوين والملكة برنيقة زوجته قد شادا هذا المعبد للالاه اوزيريس » . فيستدل اذاً من هذه الكتابة بان بطليموس الثالث وزوجته المذكورين هما اللذان بنيا هذا المعبد العظيم

وفي سنة ٢٣٨ قبل المسيح ماتت كريمةُ بطليموس الثالث وهي في ربيعة الشباب وكان اسمها برنيقة ايضاً . فعقد كهنة معبد كانوب على اثر وفاتها مجلس مشورة فيما بينهم واصدروا وثيقةً لاتزال محفوظة الى اليوم وفيها اثبتوا الوهية هذه الاميرة الشابة . ومما جاء في تلك الوثيقة وصفُ طرق التكريم التي يجب ان تقدَّم للاميرة المؤلهة . منها مثلاً نقل الزورق المقدس سنوياً من معبد هيراكليوم الى معبد كانوب

وقد ظن بعضهم ان معبد اوزيريس هو نفس معبد سيرابيس الذي نال في كانوب من الشهرة ما نال بحيث كان الزوّار يتقاطرون الى زيارته دفعات كثيرة خلال السنة . وكان المشهد الاكثر اعجاباً الذي يجري في تلك المدينة منظرَ الجماهير وهم آتون من الاسكندرية الى كانوب بطريق القناة النيلية لاقامة الحفلات الالاه سيرابيس . فكنت ترى الرجال والنساء اثناء اجتياز هذه المسافة بين المدينتين عازفين بالشبابات مُشيدين بنوبات الطرب المختلفة ومنهم من كان يعمد الى التفنن برقص الخلاعة والمجون . وكان في كانوب نفسها أنزال وفنادق معدة للملاهي على اختلاف انواعها

وقد اشتهرت تلك المدينة ايضاً بصنع الحلويات كالقطائف ونحوها وكذا قل عن سمكها وبحارها وسائر انواع طيورها وعطورها وخصوصاً عطر الناغية اي الحناء . ناهيك عن جودة مناخها وبهاء موقعها اللذين وصفهما اميان مرسلان المؤرخ اللاتيني

وصفاً رائعاً بقوله: «ان مدينة كانوب تكثر فيها الفنادق الجميلة وتهبّ هناك خطرات من النسيم البليل تلطّف حرارتها. اما جوّها فصافٍ جميل ومن حطّ الرحال فيها يخال له انه في عالم غير عالمنا اذ يسمع هزيز الرياح التي تعصف باستمرار في تلك البقعة» (١)

اما المسافة بين كانوب والاسكندرية فمئة وعشرون غلوة بطريق البرّ تبعاً لما قاله اسطرابون. على ان قول اسطرابون هذا لا ينطبق على الحقيقة تماماً بحيث لو قسنا هذه المسافة التي ألمع اليها اسطرابون المذكور باعتبار مقياس الغلوة المصطلح عليها عند الاسكندريين في ذلك العصر السحيق وهو ان الغلوة تعادل مائة وخمسة وثمانين متراً من امتار اليوم لكانت المسافة اذاً بين المدينتين تنيف على ٢٢ كيلومتراً الامر الذي لا يسلّم به نفر من الكتبة. وحجّتهم في ذلك ان المسافة الكائنة بين المدينتين لا تزيد على اثني عشر ميلاً وهذا ما يوازي ستة عشر كيلومتراً اليوم. فكانت اذن الترعة التي تنساب بين فنادق كانوب ومنازلها تصبّ على الارجح بين راس الزفير السابق ذكره وهيراكليوم

اما شعبة النيل المعروفة بالشعبة الكانوبية فكان مصبّها في بعض نحو فرسخ جنوبيّ راس الزفير المشار اليه. وكان لهذا المصب اهمية كبرى في العالم القديم بحسب قول اسطرابون وهو: ان مصابّ النيل برمّتها حفرتها ايدي البشر ما عدا المصب الكانوبي. على انهُ وان كان في قول اسطرابون هذا من المغالاة ما لا يتّفق مع الحقيقة الّا انه يبيّن لنا على كل حال ما كان لهذا المصب عند القدماء من الافضلية على سواه. دع عنك قول سينكا الفيلسوف الذي ذهب ايضاً الى ان هذا المصب الذي نحن بصدده كان اكبر المصاب النيلية كافة. وقد سماه بطليموس الجغرافي الذي عاش في البلاد المصرية بالنهر الكبير

ولما زار ديودور الصقلي البلاد المصرية في القرن الاول قبل الميلاد شاهد على كلّ من مصابّ النيل مدينة يشقّها النهر الى قسمين. وهذه الاقسام برمتها كانت منضمة الى بعضها بواسطة جسور محصّنة. وهكذا قل عن مصب كانوب الواقع على الضفة الشمالية. اما الضفة اليمنى من هذا المصب فكانت تحتوي على عدد عديد من الجواسق المحبوكة ببعضها. ومن هذه الضفة عينها تبتدئ زاوية الدلتا المكونة من طمي النيل

(١) اطلب تاريخه ك ٢٢ ف ١٦ (Ammien Marcellin, XXII, 16)

كما هو معلوم. اما كانوب عينها فكانت قائمة على الضفة اليسرى من المصب المذكور كما خطّطها الاسكندر ولقد اطلقوا على تلك البقعة مع الايام اسم « البقعة الاسكندرية » (١)

ثانياً — كانوب في عهد الرومان

لما اخذت مملكة البطالسة في السنة الثلاثين قبل الميلاد تنهار انهياراً لم تقم لها من بعده قائمة اغتنم ملوك الرومان هذه الفرصة فوضعوا يدهم على الاقطار المصرية. وكان لكانوب اذ ذاك سمعة غير حسنة من الوجهة الادبية فهذا بروبرسيوس (Pro-perce) يدعو بتهكم كليوباتره الشهيرة ملكة كانوب الوجنة . وفي خطاب القاه اوغسطس قيصر على جنوده قبل معركة اكسيوم الكبرى صرّح بان انطونيوس لم يخسر القابه الرومانية كلها الّا ليعكف على الضرب بصنوج كانوب. وكتب ايضاً سينكا الفيلسوف الى صديقه لوسيليوس رقيماً جاء فيه : ان الرجل الحكيم اذا رام ان يصطفي له مكاناً للعزلة والانفراد عن ضوضاء العالم عليه ألّا يقصد الى كانوب. وقد وصف سيليوس ايتاليكوس (Silius-Italicus) الحرية التي كانت تسود في ولائم الكمبانيين فعارضها بما كان في مدينة كانوب من بواعث الدعارة والفجور

ولم يكن يؤمّ كانوب من نبلاء الرومان واشرافهم الّا العدد القليل لان اوغسطس قيصر قد نهى هؤلاء عن الذهاب الى مصر بدون رخصة امبراطورية . ولمّا رغب جرمانيكوس في زيارة مصر لمشاهدة آثارها امكنه ان يتوصّل من هذه الرخصة الّا ان عمله هذا قد اغضب الامبراطور طيباريوس ولم يعلم جرمانيكوس بذلك الّا عند محاولته النزول في كانوب ليعبر النيل منها

وقد شاع اسم كانوب وذاع كثيراً عند كتبة اللاتين فكانوا يفهمون فيه احياناً البلاد المصرية باسرها. يدلّنا على ذلك ان في كلام ڤيرجيل الشاعر اللاتيني عن شعب كانوب ما ينمّ عن انه يقصد فيه هناك شعب القطر المصري برمته

---

(١) من شاء زيادة اطلاع على تاريخ شعب النيل رمضانها فليطالع المجلد الثالث من المؤلف النفيس لسمو الامير العلامة عمر باشا طوسون وعنوانه Mémoire sur l'histoirr du Nil وهناك ايضاً بحث دقيق في قياس المسافة بين الاسكندرية وكانوب خلال تلك الاحقاب البعيدة

ومما تحسن الاشارة اليه ان الامبراطور ادريانوس قد زار القطر المصري مرتين. وعليه فلا يبعد من ان يكون قد مرّ بكانوب بدليل انه لما اراد بعد رجوعه من مصر ان يحيي في قصره الفخم الذي بناه في تيبور (Tibur) ذكرًا للبلدان المختلفة التي طاف بها خلال اسفاره انشأ في حديقة القصر وادياً صغيرًا على الطراز المصري وحلّاه باسم كانوب (١

٢ كانوب في عصرها المسيحي

ذهب فريق من العلماء الى ان بشارة الانجيل قد أذيعت في القرون الاولى بسرعة مدهشة في مدينة الاسكندرية. ويغلب على الظن ان اذاعتها قد امتدّت الى ضواحي تلك المدينة على جناح السرعة ايضاً وخصوصاً في مدينة كانوب. على ان من الكتبة من قال ان القديس مرقس بشّر بالانجيل في ضواحي الاسكندرية اولًا ثم في الاسكندرية ومنها توجه الى المدن الخمس حيث انشأ عدة اسقفيات وعاد الى الاسكندرية واستشهد فيها بين السنة ٦٢ و٦٨م (٢ . وليس بين يدينا حتى اليوم من البيانات ما يدلنا على تفاصيل اذاعتها قبل اوائل القرن الثالث. وممّا نعرفه عن تاريخ ذلك العهد الديني ورسله في السنة التاسعة للاضطهاد الذي اثاره ديوكليانوس وهي الموافقة لسنة ٣١٢ مسيحية استشهد في مدينة كانوب القديسان كيريوس ويوحنا ورفقاؤهما وقد كان الاول اسكندري المولد درس الطب في مدرسة الاسكندرية الشهيرة ومهر في هذا الفن. فكان يعالج الفقراء مجاناً ويهتمّ بالانفس اكثر منه باهتمامه بالاجساد ويبشر بالديانة المسيحية بهمة لا تعرف الكلل . ولما اشتهر امره عند الحاكم سيريانوس (Syrianus) توعده بان يلقيَهُ في غياهب السجون اذا لم يجحد ايمانه. اما هو ففرّ هارباً الى صحراء قريبة من البلاد العربية وتبعه اليها القديس يوحنا على اثر زيارته لاورشليم. وكان هذا الاخير جندياً من مدينة الرها فعاشا سوية في تلك الصحراء بالانكباب على ممارسة اشد الفضائل صرامة. وعلما يوماً ان احدى السيدات المسيحيات تدعى اثنازيا (Athanasie) قد اوقفت في كانوب مع بناتها الثلاث وهنّ في ربيع العمر فخافا على هذه المرأة وكريماتها من الوقوع في شرك الوثنيين ومن ثم ترك الناسكان

١) طالع الكتاب الآتي G. Poissier: Promenades archéologiques: Rome et Pompéi, (p. 258)

٢) مجموعة الآباء الشرقية Patrologia Orientalis: T.IV, p.106

عزلتها في البرية وقصدا السجن حيث الامّ وبناتها المذكورات فاخذا ينشطانهنّ ويشجعانهنّ على الثبات في نعمة الايمان وما لبثا ان قُبض عليهما ايضاً فأُحضرا امام الوالي الآنف الذكر فلم يعبأ لا بوعيده ولا بتهديده وفي اخر الامر اوعز الى الجنود بان يعرّوا الشهيدين من ثيابهما ويعذبوهما بعذاب الدواليب القادح ثم مزقوا اجسادهما وخدشوهما بقامع ذات كلاليب واسنان حادّة وصبوا على جراحاتهما خلًّا ممزوجاً بالملح. وقد انزلوا بالعذارى الثلاث ووالدتهن من انواع التعذيب ما انزلوه بالشهيدين المذكورين فنلنّ مثلهما اكليل الاستشهاد. وعلى اثر ذلك جمع المسيحيون بقايا الشهداء الثمينة بين التراتيل الشجية والترانيم الرخيمة وحملوها الى كنيسة القديس مرقس في الاسكندرية وهناك اودعوا رفات القديسين كيريوس ويوحنا في قبر ورفات اتنازيا وبناتها في آخر (١)

وقد جاء القديس يوحنا الدمشقي على ذكر هذين الشهيدين في خطابته الثالثة في صور القديسين والقديس صفرونيوس في العظة التي القاها على مسامع آباء مجمع نيقية الثاني (٢)

---

(١) طالع PAUL CHENEAU O. F. M.: I. Les Saints d'Egypte, p. 257-258

(٢) لقد اقام الوثنيون خلال الازمنة الماضية معبدًا كبيرًا في بلدة مينوتيس لم يفوّ انتصار النصرانية على ملاشاته بسهولة. ولمّا وطئ انطيس كيرلس الاسكندري العزم على ابدال العبادة الوثنية التي كانت ذائعة في ذلك المعبد بعبادة الاله الحق نقل رفات الشهيدين كيريوس ورفيقه يوحنا من كنيسة القديس مرقس في الاسكندرية الى كنيسة الانجيليين الاربع في مينوتيس. ومذ ذاك الحين اخذ الزوار يفدون زرافات ووحدانًا من الاسكندرية ومصر وليبية وسائر انحاء العالم الى زيارة هذه الكنيسة لكثرة ما كان يجري من المعجزات الخارقة. وممّن قدم الى زيارة كنيسة مينوتيس هذه صفرونيوس البطريرك فيما بين سنة ٦١٠ و٦٣٠ والىً من مصر كان قد اصاب عينيه. وافرازًا هذه المعجزة كتب مجموعة احصى فيها مئتين معجزة حدثت في الكنيسة المذكورة في ايامه. اما موقع هذه الكنيسة فكان بين شاطئ البحر شرقًا وبين اكمة رملية هناك غربًا. وكان الزائرون يشاهدون عن بعد هذه الكنيسة التي كانت مطوقة بنطاق لهُ مدخل من جهة البحر وفي خارجه بركة كائنة عن يمين الباب عليها اسم شفيعي الكنيسة. وفي داخل النطاق الكنيسة مع رواقها يجاورها بيت الشماس الانجيلي وعائلته. اما الغرف الموجودة في العظة المعدة للمرضى المستشفين فكانت كل واحدة منها تسع شخصًا او اثنين. وكان يضاء في الكنيسة رفات الشهيدين مع سيل جارية تقديس كيريوس الطيب. وكان زيت المصباح المنار امام القبر يوزّع على المؤمنين من الزوار اما التقادم والنذور تدل على حدوث الاشفية الاكثر

ولما كان القرن الرابع بعد المسيح كثر عدد الرهبان في الشرق وخصوصاً في مصر حيث ملأوا البراري والقفار. بيد ان كثيرين منهم انشأوا لهم ايضاً في المدن كالاسكندرية وكانوب اديرة ومعاهد. وممن اقام في كانوب مدة طويلة القديس امون (Ammon) الا انه بارحها على اثر موت القديس اثناسيوس وولى وجهه شطر الاراضي المقدسة. ثم توجه الى منفيس في مصر وتنسك فيها

والظاهر ان تاريخ الحياة النسكية لم يتلألأ سناؤه في كانوب الا بعد ذلك اركان معبد سيرابيس في سنة ٣٨٩ لانه كان لا يزال الوثنيين في ذلك العهد نفوذ كبير فكانوا يحتشدون حول معبودهم سيرابيس لاقامة شعائرهم الدينية وحفلاتهم المخجلة. اما بغضهم للمسيحيين فحدث عنه ولا حرج فانهم لم يدعوا فرصة تمر الا ويعمدون الى قذفهم باللعنات ورشقهم بالشتائم. وكان لهم في كانوب ايضاً معهد لتعليم مبادئ السحر والطلسمات. وكانوا يكرمون هذه المدينة على ما قال روفينوس لانها والعياذ بالله مقر ابالستهم وشياطينهم. وظل الامر كذلك الى ان اشتدت شوكة النصرانية فاجتمع المسيحيون وعقدوا الخناصر على تقويم دعائم الوثنية فوثبوا يوماً على هيكل سيرابيس وقوضوا اساساته وتركوه خراباً يباباً. وقيل ان البطريرك تاوفيلوس طفق على اثر تلك الحادثة يبني الكنائس والمعاهد المقدسة في كانوب ويزينها بالتقادم الثمينة والصور النفيسة. وشاد هناك ايضاً على اسم الرسل كنيسة فخيمة وانشأ فوق ذلك ديراً كبيراً استقدم له في اول الامر طائفة من رهبان اورشليم لاسكانهم فيه. فلم يلبث هؤلاء ان اخلوا هذا الدير لحرفيهم من شر الاباشة الذين كان يتكرر ظهورهم فيه المرة بعد المرة. وعليه فاحل محلهم رهباناً مصريين من المنضوين لقانون القديس باخوميوس فعملوا على طرد تلك الارواح الشريرة بصلواتهم الحارة واطلقوا على ذلك

خطوطة من غير ما. وقد صفح احد الولاة الدعو ميزيون (Memesion) الجدران القريبة من قبر الشهيدين بالرخام الثمين. ويرى هناك ايضاً رسم السيد المسيح والقديس يوحنا المعمدان والقديس كيريوس. وامام هذا الاخير يصرح الوالي تاذر بنعمة الشفاء التي نالها على يد القديس كيريوس وكان في كنيسة تيترابايلون (Tétrapylon) الكبرى في الاسكندرية رسم تغلب عليه اسم الصورة (l'image) وهذه الصورة تمثل السيد له السجود تحف به العذراء المجيدة والرسل والانبياء والشهداء وهم يتقبلون التضرعات من القديسين ويوحنا الجاثين امام السيد المسيح

Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne, *article* ALEXANDRIE

الدير اسم «دير التوبة» فشرع بعد ذلك يتوافد عليهم من كل الاقطار شرقيّة. كانت ام غربيّة رجالٌ تاركون الى اعتناق المعيشة النسكية. وهذا ما حدا بالقديس ايرونيموس الى ترجمة قانون القديس باخوميوس الرهباني من اليونانية والقبطية الى اللاتينية للرهبان الذين اتوا هذا الدير من بريّة الاستيط وخصوصاً ان كان منهم في كانوب لان اكثر هولاء كانوا يجيدون تماماً اللغتين القبطية واليونانية

وعند نهاية القرن الرابع أمّ دير كانوب القديس ارسانيوس. وكان هذا القديس العظيم يشغل منصباً كبيراً في القسطنطينية ايام كان تيودوسيوس الكبير امبراطوراً فيها غير انه لم يقم مدة طويلة في دير كانوب بل قصد خارة اخرى في جهات بريّة الصعيد ثم توجه الى تروية (Troë) قرب منفيس وفي اواخر ايامه عاد مرة اخرى الى كانوب ثم قفل عائداً الى تروية ايضاً وتوفي فيها برائحة القداسة

وما كادت تذاع بدعة انطيمة الواحدة في الديار المصرية حتى اخذ اصحابها في اواسط القرن الخامس يبثّون زوان بدعتهم بين مؤمني كانوب على انهم لم يستطيعوا ان يوقعوا رهبان دير هذه المدينة الافاضل في حبائل بدعتهم لانهم كانوا من اشد الناس تمسكاً بارثوذكسية الايمان على الرغم مما ساءهم ديوسقوروس البطريرك الاسكندري بطل هذه البدعة من الاضطهاد. وروى فريق من المؤرخين ان القديس يوحنا السلمي زار دير كانوب في القرن السادس للميلاد ومدح كثيراً حياة رهبانه. وكان ايضاً على بعد ميل واحد من الدير المذكور دير آخر يدعى «دير السجن» اقام فيه ذاك القديس شهراً واحداً وقد أعجب جداً بما رآه في رهبانه من سمو الفضائل الزهدية حتى انه قال فيه ان هذا الدير هو المكان الذي فيه تنتفي الملاذ البشرية باسرها. ومذ ذاك العهد اخذ سكوت المؤرخين يخيّم على اخبار كانوب رويداً رويداً الى ان جاءت فتوحات العرب فطمست معالمها وادخلتها في خبر كان. وظلّت هكذا حتى نشطت مصلحة الآثار المصرية بالاشتراك مع الجمعية الاثرية الملكية في الثغر الاسكندري من نحو سنتين وشرعت باجراء حفريات خطيرة في انقاض تلك المدينة تحت إشراف العلّامة برتشيا الشهير. وممن ساعد في ذلك ايضاً صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر. ولعلنا نعود الى وصف ما كُشف هناك من العاديات التي لا بدّ من ان تميط القناع عمّا كان لا يزال مجهولاً من اخبار تلك المدينة الى يومنا افادة لقراء المشرق وبالله تعالى التوفيق